مدينة زبيد سنة ست وخمسين واربعمائة واحسن سيرته في الرعية وفسح لأهل السنة في اظهار مذهبهم وكان يحمل من تهامة الى صنعا في كل سنة بعد ارزاق الجند الذين بها وغير ذلك من الأسباب اللازمة مئتي الف دينار ولم تزل هذه احواله اعني الصليحي الى شهر ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وعزم على التوجه الى مكة حرسها الله واستخلف ابنه المكرم على الملك وسار في الف فارس فيهم من آل الصليحي مائة وستون رجلا واستصحب معه ملوك اليمن الذين ازال ملكهم ونعمتهم خوفا من ان يثوروا بعده في البلاد فنزل في طريقه بظاهر المهجم بضيعة تعرف بأرم الدهيم وبزام معبد واجتمعت عساكره حوله فلما كان في الثاني عشر من ذي القعدة لم يشعر الناس انتصاف النهار حتى قيل لهم قتل الصليحي فانذعروا وسقط ما في ايديهم وسبب قتله انه لما قتل نجاح بالسم وارسله له مع الجارية التي اهداها اليه كما تقدم هرب اولاد سعيد الأحول وجياش وغيرهما ولحقوا بأرض الحبشة وكان قد ظهر على السنة المنجمين واهل الملاحم ان سعيد الاحول قاتل على ابن الصليحي فاستشعره وصور صورة الأحول على جميع حالاته وبلغ سعيد ذلك فترقب اليه همته وتهيأ لأسبابه وكانت اخبار الصليحي عنده في كل وقت فلما بلغه مسير الصليحي نحو الحجاز خرج من ارض الحبشة في البحر معارضا في خمسة الاف حربه فدانتها حتى خرج من ساحل المهجم وسار مختفيا حتى هجم على المحطة نصف النهار والناس قائمون في خيامهم متفرقين غير مستعدين لشر ولا خائفين له فقصد الأحول في اهل بيته خيمة الصليحي فدخلوا عليه فقتلوه وقتلوا معه اخاه عبد الله هنالك وتفرقوا في المحطة فقتلوا من وجدوا ولم ينج منهم من المحطة احد الا الشاذ النادر واستولى الأحول على خزائن الصليحي واموالها وقد كان استصحب منها اموالا جليلة كان قصده دخول مصر ان اهل دعوته من العبيديين وجمع الأحول آل الصليحي خاصة فقتلهم رميا بالحراب واخذ اسماء بنت شهاب زوج الصليحي فاركبها هودجها وجعل رأس الصليحي وراس اخيه امام هودجها حتى دخل بها زبيد

وتركها

وتركها في دار سنحار ووكل بها من يحرسها وأمران ينصب الرأسين قبالة طاق الدار التي هي فيه وفي ذلك يقول شاعرهم العثماني من قصيدة قالها ارتجالا

تبكرت مطلته عليه فلم ترح ٭ الا على الملك الأجل سعيدها
ما كان اقبح وجهه في ظلها ٭ ما كان احسن رأسه في عودها
سود الأراقم قابلت اسد الشرا ٭ وارحمتاه لأسودها من سودها

فأقامت اسماء تحت الأسر سنة لم يمكنها الكتابة الى ابنها حتى تلطفت لرجل مشرقي فرمت اليه برغيف فيه كتاب لطيف تخبر المكرم انها صارت حبلى للأحول وليست كذلك فانه لم يرها قط ولكن اراد ما كان من استنارة حفائظ العرب فلما وصل الكتاب الى المكرم جمع رؤوس القبائل وقرأ عليهم الكتاب فتكلموا وثارت حفائظهم وسار من صنعا في ثلاثة الاف فارس غير الراجل فخطبهم في بعض الطريق وعرفهم انهم انما يقدمون على الموت فمن اراد ان يرجع فمن مكانه وتمثل بقول المتنبي

واورد نفسي والمهند في يدي ٭ موارد لا يصدرن من لا يحاربه

فرجع بعضهم وسار في الباقين وبلغ الاحول ذلك فجمع جموعه ووصف له على باب المجر الى القبلة في عشرين الف حربة فصدمتهم العرب طعن الرجل واتى القتل على اكثرهم وكان الأحول قد اعد خيلا مضمرة على باب النخل فلما انهزم الناس ركبها هو وخواصه واهل بيته حتى اتى الساحل وقد اعدت له هنالك سفن فركبها نحو بلاده ودخلت العرب زبيد قهرا وكان اول فارس وقف تحت طاق اسماء ولدها المكرم فقال لها ادام الله عزك يا مولاتنا فقالت مرحبا يا وجه العرب ولم تعرفه فسألته من هو فانتسب لها فقال احمد بن علي فقال احمد بن علي في العرب كثير وامرته برفع المغفر فرفعه وهو ينصب عرقا من المعرك فعرفته فقالت مرحبا بمولانا المكرم ويروى انها قالت له حينئذ من كان محمد كمبتك فلا ابقا ولا اخلفا فأصابته ريح فارتعش لها واختلجت بشرة وجهه وعاش بعد ذلك سنين عديدة وهو على هذه الحالة وانت رؤوس القبائل والعرب يسلمون عليها وهي بارزة بوجهها لهم على عادتها في ايام زوجها الصليحي ثم امر المكرم بانزال

Cambridge University Library

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)